(جهود الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجزائري الديسي في شرح المتون النحوية بين التأثيل النّظري والتيسير التعليمي)

يحياوي عامر، باحث بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

وحدة النظم التسموية في الجزائر– البليدة- CRASC/ RASYD

ملخص:

لم يكن المغرب الإسلامي عموما بعيدا عن مجريات الحضارة العربية الإسلامية في المشرق، بل كان له مكانته البيّنة في عِقْدِ هذه الأخيرة، وعلى الرّغم من كونه بلادا مفتوحة لسكانها خصائص ثقافية واجتماعية تنماز عن المشرق العربي إلاّ أنّه ساهم في تألُّق المُنتَج المعرفي، ولعلّ الجزائر كانت قُطْرا طالما شكّل مَعِينا لنتاجات علماء أفذاذ وهذا ما شهد به التاريخ إلى غاية العصر الحديث، وتأتي هذه الورقة البحثية للتعريف بأحد العلماء الجزائريين وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي ونتاجه اللغوي واجتهاده في شرح المتون النحوية وتعليمها.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمان الديسي، المتون النحوية، التعليم، التأصيل، الاستشهاد.

Abstract:

In general, the Islamic Maghreb was not far from the course of Arab-Islamic civilization in the East, but it has its clear place in the end of the Arab-Islamic civilization in the East, despite the fact that the Arab Maghreb is an open country whose population has different cultural and social characteristics of the Arab East, but it has contributed to the brilliance of the product of knowledge, but it has contributed to the brilliance of the knowledge of the products. , and perhaps Algeria was for a long time a source of works of brilliant scholars that's what history has known until the modern era, This article comes to present one of the Algerian scientists, Sheikh Mohammed bin Abderrahmane Deissi, and his linguistic works and his diligence in the explanation of grammatical vocabulary and teaching it .

Keywords: Abderrahmane Al-Daisy, grammatical vocabulary, education, Rooting, quotation

مقدّمة:

لقد كان لمتون النحو أثرها في ترسيخ هذا العلم، كما يتجلّى ذلك في تعليم الناشئة وذلك لما فيها من مشتملات لمباحث علم النحو، وإذ كانت هذه الطريقة منهجا معتمدا في تلقين طلبة العلم لتلكم المباحث نظريا، لم يكن ليكتفي بها في تحصيل المراد من المعرفة النحوية مستعصمين في فهمها بشروح لهذه المتون، وفي هذا المساق نجد أن المدرسة النحوية المغربية انتحت في المعرفة النحوية انتحاء التنظير متونا وشروحا وتلخيصا، امتد ذلك الى العصر الحديث، ولعلنا نجد من علماء الجزائر من أهمّه هذا العلم فتصدّى لمتونه يشرحها مذللا إياها لطلبة العلم في الزوايا والمدارس القرآنية التي كانت إبان الاحتلال الفرنسي، ومن بين هذه الثلّة يبرز الشيخ عبد الرحمان الديسي الجزائري نحويا شارحا لمتون شهيرة من بينها المشرب الراوي وغيرها، وفي هذا السياق العلمي نحاول في هذه الورقة البحثية كشف النقاب عن منهجية الشيخ وطريقته في الشرح والتعاطي مع المتون النحوية، منطلقين من إشكالية مفادها:

كيف تجلّت منهجية الشيخ عبد الرحمان الديسي في شرح المتون النحوية؟ وهل أتبع طرائق القدامى أم انتحى سبيلا غير ذلك؟

أولا- مهاد تاريخي:

1- ترجمة للشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي الجزائري:

ورد في هدية العارفين للبغدادي أنّ اسمه: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن عبد القادر بن أبي القاسم محمد بن سيدي إبراهيم الغول السّلامي الجزائري.[1]

يمتد نسبه إلى سيدي إبراهيم صاحب الضريح المشهور بمدينة بوسعادة، ولقب بالديسي نسبة إلى مسقط رأسه بقرية الديس- بلدية أولاد سيدي إبراهيم حاليا- التي تبعد عن مدينة بوسعادة بحوالي **12** كلم.

أمّا عن ميلاده فقد وُلد الديسي بقرية الديس سنة **1270**هـ الموافق لـ **1854**م حيث تربى في حجر والدته السيدة خديجة بنت محمد بن الخرشي، وعمته السيدة عائشة وجدته.[2]وقد كف بصره السادسة أو السابعة من عمره، وبقي مواظبا بالكتّاب على القراءة سماعا حتى حفظ القرآن.[3]، تزوج في قريته ثم انتقل إلى زاوية الهامل مدرسا فتزوج امرأة ثانية من العائلة القاسمية، أنجبت له الأولى طفلا أسماه أحمد بن بوداود تبركا بأحد شيوخ الزاوية التي تعلم فيها (زاوية سيدي السعيد بن أبي داود)، وقد عاش بعد وفاة أبيه وكان أحد

[1] إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج2، دار إحياء التراث العربي، د ط، لبنان 1955، ص 399.

[2] نفسه، ص 407.

[3] عمر بن قينة: الديسي حياته وأثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر، د ط، الجزائر، 1977، ص 16.

كتاب آثاره، وأنجبت له الثانية طفلا أيضا أسماه محمد الصديق توفي في حياة والده ، وعمره ثماني عشرة سنة.[1]

كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي من أجل مشايخ العلم وبقية السلف الصالح، متخلقا بالأخلاق الراقية والأحوال فائقة علما وعملا وزهدا وورعا ومحبة في الله ورسوله وأهله ووقوفا مع الكتاب والسنة، يقول كل من عاشره ووزنه بالميزان الشرعي أن جزء من أحواله لا يخرج عن الشريعة الغراء.[2]

"وقد كان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه وكان يحب الخمول ويكره المحمدة والظهور، لين الجانب صبورا غيورا على الدين، صاحب حزم واجتهاد منذ خلق ما نطق بفحش، ولا ضبطنا عنه ساعة هو غافل فيها عن دينه، وكان يحفظ كل يوم مئة بيت".[3]

كما كان الديسي ميالا إلى النهضة الأدبية الجديدة، وتجلّى الفكر النهضوي في أدب الديسي من خلال المواضيع الأدبية التي تناولها لاسيما الشعرية منها إذ لم تكن مفرغة من محتوى الواقع بل كانت تعالج قضايا الأمة العربية والإسلامية بعمومها والشعب الجزائري بخصوصه؛ فشعره انعكاس للواقع الذي كانت تعيشه الأمة في تلك الفترة، أما عن أسلوبه فكان يحاول أن يتوثّب من خلاله إلى الأمام لكن ثقافته العربية الأصيلة ظلت تشدّه إليها وهذا ما ولّد عنده أدبا لا يكاد يخلو من نفس القدامى ونجد هذا في قصائده، كقصيدة قرية ديسنا والحميدية وقصيدة في وصف الزمان وأهله. ومما أثر عنه أنه كان يحثّ طلبته على الجدّ والاجتهاد.[4]

توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي ليلة **22** ذي الحجة **1339** هـ الموافق لـ **07** أوت **1921م**، عن عمر يناهز **69** سنة، ودفن داخل القبة التي في المسجد بزاوية الهامل بين تلاميذه وحبيبه الشيخ محمد بن أبي القاسم وأخيه الشيخ المختار.[5]

وقد رثاه الكثير من المشايخ والشخصيات نذكر منهم الشيخ سيدي محمد العابد الجلالي المدرس بأولاد جلال، ورفيقه الشيخ مصطفى بن قويدر، وكذالك رثاه الأمير خالد في جريدة الإقدام.[6]

2- تكوينه العلمي:

لقد تعددت مشارب ومناهل محمد بن عبد الرحمان الديسي العلمية بداية بقريته التي حفظ بها القرآن الكريم كما ذكرنا سابقا ثم بدأ يتلقى مبادئه العلمية في العلوم العربية والتجويد على أيدي علماء

---

[1] نفسه، ص 25.

[2] محمد بن يوسف الكافي التونسي: إيقاظ الوسنان الفاتح المنظمة التوحيد لابن عبد الرحمان، مطبعة الترقي دمشق، ط1 1342هـ/ 1954م، ص 112.

[3] محمد بن الحاج محمد: الزهر الباسم، المطبعة التونسية، د ط، 1308 هـ، ص 145.

[4] ابن عبد الرحمن الحاج بن السنوسي: المصدر السابق، ص 02.

[5] المصدر نفسه، ص 11.

[9] عمر بن قينة: المرجع السابق، ص 16.

قريته ومنهم الأستاذ الشيخ بلقاسم بن عروس والشيخ محمد الصديق وكلاهما من أولاد سيدي إبراهيم الغول[1] ودحمان بن السنوسي بن الفضيل الديسي.[2]

ثم أخذ عن مشايخ زاوية السعيد بن أبي داود بزواوة، وقد قال الشيخ الحفناوي عنه أن الديسي... «يحفظ من المتون نحو الخمسين متنا منها، الشيخ خليل وبعض متن الرسالة، والعاصمية والتلمسانية، والرحبية، وجمع الجوامع في الأصول، ولعله نظمه أيضا، والآجرّومية، والقطر، والشذور، والألفية، ومتن الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون، ومختصر السعد، ومنظومة ابن الشحنا، ورسالة الدردير، والسمرقندية في الاستعارات، والسنوسية في التوحيد، والجوهرة، ومتن بدأ الآمالي، ومتن الخريدة والجزائرية، ، والبيقونية ومنظومة الصبان، وألفية العراقي، وفي الصرف متن البنا، ومتن لامية الأفعال، وفي المنطق متن ايساغوجي، وفي الحكمة المقولات العشر، ومتن أداب البحث للشيخ زين المرصفي وفي العروض متن الكافي، ومتن الخزرجية ومتن الصبان وفي التجويد متن الجزرية، وتحفة الأطفال والشاطبية، في المديح النبوي متن بانت سعاد، ومتن البردة ومتن الهمزية، ومتن البغدادية، ومنظومة البرزنجي في المولد ودلائل الخيرات في الصلوات وغير ذلك، ومن العلوم الشرعية والفنون الأدبية الصحاح الست وبعض تفاسير الكتاب العزيز، والقسطلاني ومختصر خليل، وشرحة للدردير، مع استحضار ما في الشروح الأخرى وحواشيها، ونظمه أوكاد، وبرع في الجميع حتى كان أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه».[3]

وهكذا حتى أجيز من مشايخه وحصل له الإذن في التدريس، ثم انتقل إلى قسنطينة وحضر دروس حمدان لونيسي ثم رجع إلى قريته واعتكف على حفظ المتون العلمية ثم انتقل بعدها إلى قرية الهامل واشتغل بنشر العلم في زاويتها.[4]

واستمر الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي في نشر العلم طيلة تدريسه لطلابه مما أسهم في تخرج عدد كثير منهم ومن بينهم محمد بن الحاج محمد الأبراخي الذي لازمه حتى حصل عنه علوما جمة، وشاركه إخوته الكرام في الأخذ عنه.[5]

كما اتصل به الشيخ الحاج المختار وابنه الشيخ محمد المكي، والشيخ بلقاسم والسيد إبراهيم وأخوهم الصغير أحمد وكذا تلميذه عبد الرحمان بن بيض، والشيخ محمد العابد الجلالي كما درس الشيخ الحفناوي بن أبي القاسم والشيخ بن عزوز القاسمي الحسني، وقد حضر مجلسه عبد الحي الكتاني من بين

[1] عمر بن قينة: المرجع السابق، ص 16.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص 185.

[3] أبو القاسم الحفناوي: المصدر السابق، ص ص 407-408.

[4] عبد الرحمان بن بيض: المصدر السابق، ص 03.

[5] ابن عبد الرحمن الحاج بن السنوسي: المصدر السابق، ص 01.

العلماء على سبيل التبرك ووصل السند العلمي[1]، ومحمد الأخضر حسني وغيرهم، فلقد تخرج على يده رحمه الله طلبة أخيار لا يحصون ولقد تقلد أكثرهم الوظائف الدينية من إمامة وقضاء وإفتاء وتدريس.[2]

أقرّ له بثروته العلمية الفذة ورسوخه في العلم والعمل كل من عاصره بإنصاف من العلماء منهم محمد المكي بن مصطفى بن عزوز وكذا أحمد الأمين بن المدني، وشعيب بن علي قاضي تلمسان، والشيخ سيدي الطاهر بن العبيدي والشيخ سيدي الحسين بن المفتي القفصي التونسي والشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى المستغانمي، وكذا الحال مع عبد الحميد بن باديس ومحمد بن سليمان الندرومي، عبد القادر البجاوي وعبد الحميد بن سماية الجزائري وبن جلول البليدي، والطيب العقبي، ومحمد كحول القسنطيني الجزائري وغيرهم من علماء الجزائر وأعلامها .[3]

ولقد استرعى بكتاباته ومصنفاته العلمية جمهرة من العلماء دبجوا تأليفهم بالترجمة له حيث أشار لترجمته الحافظ عبد الحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس، في قوله في آخر الجزء الثاني "... فخر القطر الجزائري ونادرته الشيخ بن عبد الرحمن الديسي..." كما ترجم له أبو القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، حيث أطال في تعداد ما يحققه من الفنون كما أوردنا سابقا، وترجم له أيضا إسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.[4]

وبصفة عامة فقد أفاد الشيخ كل من وفد الزاوية (زاوية الهامل) من التدريس في العلوم بحضرته وكان محبا لطلبته مفتخرا بهم، فقد كان تواقا لابتكار كل ما هو جديد في طريقة التلقين منها على سبيل المثال التدريس بأسلوب السؤال والجواب كي لا يلحق الكلل والملل بطلبته فقد كان على ثقافة واسعة وعرف انه جيد النظم سهل العبارة في التعليم والتأليف ذكي الفهم غواصا في المعاني الدقيقة جبل علم مناظرا محاجج قال الشيخ محمد بن السيد الحاج محمد في ترجمة للشيخ: "وقد علمنا وأفادنا ومالنا مورد سواه في ما تعلّمناه..." مما جعل له مكانة خاصة بين علماء عصره وتلاميذه.[5]

ثانيا- مؤلفاته:

- الفوز الغانم
- القهوة المرتشفة وهي شرح نظم الجمل المسمّى بالزهرة المقتطفة

[1] عبد الرحمن بن محمد الجلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1995، ص 425.

[2] ابن عبد الرحمن الحاج بن السنوسي: المصدر السابق، ص 10.

[3] المصدر السابق، ص 10.

[4] ابن عبد الرحمن الحاج بن السنوسي: المصدر نفسه، ص 02.

[5] أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ص ص 408-409.

- الحديقة المزخرفة حاشية على الشرح المذكور
- الموجز المفيد شرح منظومته عقد الجيد في العقائد
- تحفة الإخوان
- المشرب الرّاوي على منظومة الشبراوي في النحو
- النصح المبذول شرح نظم الورقات في الأصول
- توهين القول المتين في الرّد على الشامخي الإباضي
- بذل الكرامة لقراء المقامة شرح المناظرة بين العلم والجهل
- رفع النقاب عن شبهة بعض المعاصرين من الطلاب
- إبراز الدقائق على كنوز الحقائق في الحديث للمناوي
- تنوير الالباب شرح أحاديث الشهاب
- فتح القدّوس العلام على صلاة ابن مشيش عبد السلام
- الجواهر الغالية شرح القصيدة الدالية
- جواهر الفوائد وزواهر الفرائد كتاب الادب فيه من نفيس كل علم
- الكلمات الشافية
- إفحام الطاعن برد المطاعن
- نصيحة الإخوان وإرشاد الحيران
- النصيحة الكافية لطلاب الامن والعافية
- رشح بقطرة مسألة الهجرة
- تكملة شرح الآجرّومية لسيدي السعيد بن أبي داوود
- خاتمة على قول ابن مالك

- خاتمة على قول ابن آجرّوم
- هدم منار الأشراف
- الساجور للعاد العقور
- شرح أبيات تطهر بماء الغيب
- تعليق على قول الغمام الغزالي " ليس في الإمكان أبدع مما كان"
- تفضيل البادية بالادلة الواضحة البادية
- رسالة القصد في الفصد
- رسالة في الوقف
- رسائل مختلفة في مواضيع مختلفة
- ديوان شعر "منة الحنّان"

ثالثا- التأثيل النظري في شروح الشيخ عبد الرحمان الديسي:

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي ذا حافظة قوية تمتع بقدرة على استيعاب المتون لا سيما النحوية منها، فمنذ صغره عكف على ألفية ابن مالك ومتن الآجرومية وشذور الذهب، وتبعها بالشروح ليبلغ بذلك مبلغا كبيرا في الإلمام بما أنتجه النحاة في هذا المجال.

وبعد أن قطع أشواطا في طريق العلم أصبح له اقتدار على نظم المتون وشرحها للطلاب كما كانت له شروح لمتون نحوية مشهورة كمنظومة الشبراوي، ولعلّ اهتمام الديسي بالتعليم نظرا لما كانت تعيشه الجزائر من تجهيل وطمس للعربية ومعالم الدين الإسلامي جعله يميل إلى طرائق تساعد طلبته في حفظ وفهم علوم اللغة العربية، ومما جاء في نظمه النحوي في مؤلفه الزهرة المقتطفة منتهجا نهج القدماء في الابتداء قائلا:

حمدا لمن علّمَنَا الإعرابا وخَصّ بالفصاحة الأعرابا

ومن أمثلة ما قدمه في نظمه مبحث الجملة وأقسامها:

الجُملة المركب الإسناد كخفت ذنبي والرجاء زادي

واسمية فعلية بالنظر لصدرها والحرف لا تعتبر

نعم وقد يعتبر المصدر أصالة حسبما قد قرّروا

فعلية إن خالد قام فقم عمرا رأيت ضاحكا أخا الكرم

ولم يتوقف الشيخ عند هذا بل حاول إيجاد سبل وطرائق يُيَسِّر بها متون النحو التراثية التي درج أهل العلم تحفيظها للناشئة وطلاب العلم، ومن أمثلة ما شرحه الشيخ منظومة الشبراوي في تأليف بعنوان" المشرب الرّاوي في شرح منظومة الشبراوي"و" القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة"، وقد كان منهجه في شروحه على نحو تطرّق اليه باحثون حققوا هذين الشرحين:

- **التقديم:**

وفيه الغرض من التأليف ويذكر الديسي ذلك في شرحه لمنظومة الشبراوي في الباب الأول:«... وفائدته - وتسمى ثمرته-: صون اللسان عن الخطإ في النطق، والاستعانة على فهم كلام الله وكلام رسوله..[1]» وهذا دليل على إدراك الديسي لأهمية علم النحو وتعلّمه في الاحتراز من الوقوع في الزلل والحيف في فهم الكتاب والسنة المطهّرة، ونجده يقف على ذلك في شرحه المسمى بالقهوة المرتشفة الذي كان شرحا لمتنه المنظوم المسمى بالحديقة المزخرفة وذكر الدافع لتأليفه هذا الشرح قائلا:«... فقد سألني بعض الخوان أصلح الله لي وله الحال والشّأن ملاء كلمات قليلات تقييدا للمنظومة الموسومة بـ" الزهرة المقتطفة" التي نظمتها لبعض الاصحاب في الجملة وأقسامها والظروف والمجرورات يحرز أشكالها ويزيل إشكالها...»[2] كما كان الديسي يؤصّل لشروحه من خلال المحافظة على خطبة الشارح، والتي تعدّ تقليدا درج القدامى عليه، ومن بينها شرح الابتداء بالبسملة فيقول في شرح نظم الشبراوي:«ابتدأ بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم ...»[3] ذاكرا بذلك فضل الابتداء بالبسملة وكمال العمل في ذكرها مستشهدا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

كما يظهر المسلك الصوفي عند الشيخ في شرحه لمنظومته الحديقة المزخرفة: «... نحمدك يامن جمّلت بمعرفة جمل الإعراب ألسنتنا. وهديت بالسراج المحمّدي إلى الاعتراف بوحدانيتك أفئدتنا.صلى وسلّم عليه روح الوجود والسبب في كلّ موجود، وعلى ساداتنا وآله وأصحابه بدور الهدى، وبحور السماحة والوجود...»[4]، وكذلك نجد تعريف الناظم وغن لم يطل في ذلك فقد قال فيه مبينا: « فإنّي لمّا تأمّلت منظومة العلاّمة الشبراوي الشافعي...»[5] كما وجدت ترجمة للشيخ الديسي نفسه وهو يقدّم لشرحه القهوة المرتشفة،

[1] محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي في شرح منظومة الشبراوي، تح لعبيدي بن محمد بوعبد الله، دار الامل، دت، ص 77-78.

[2] محمد بن عبد الرحمان الديسي:القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة، تح عبد الحفيظ جوبر،دار كردادة، الجزائر، 2014، ص 41.

[3] محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الراوي، ص75.

[4] محمد بن عبد الرحمان الديسي:القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة، ص40.

[5]محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي، ص73.

ولعلّ المحقق أشار إلى أنها من الأرجح أن تكون من كلام الناسخ باعتبار أن الشيخ كان يملي [1]ولم يكتب الشرح بنفسه.

- **طريقة عرض الموضوع:**

كان الديسي يعرِض للمتن كما بوّبه صاحبه، وهذا ما كان في شرحه لمنظومة الشبراوي أو لمنظومته هو - الحديقة المزخرفة-، معتمدا في ذلك على ترتيب صاحب المتن[2]، وكان الترتيب هو المبيّن في الجدول[3]:

المشرب الرّاوي في شرح منظومة الشبراوي	القهوة المرتشفة في شرح الزّهرة المقتطفة
باب الكلام وما يتألّف منه	الجملة وأقسامها
باب في الإعراب	بيان الجملة الصرى والكبرى
باب مرفوعات الاسماء	الجمل التي لا محل لها من الإعراب
باب في منصوبات الأسماء	الجمل التي لها محل من الإعراب
باب في مخفوضات الأسماء	حكم الجملة والظرف والمجرور بعد المعرفة والنكرة
	ما يتعلّق من حروف الجرّ وما لا يتعلّق وبيان المتعلّق به
	ما يتعلّق به المجرور والظرف إذا وقعا صفة أو صلة أو حالا او خبرا وفي رفعهما الفاعل إذا وقعا بعد استفهام أو نفي أو واحد من هذه المواضع الأربعة

وقد كان للشارح محمد بن عبد الرحمان الديسي وقفات لغوية، ومما شرحه من جملة شرحه الإعراب حيث يقول في ذلك:« الإعراب بكسر الهمزة(...) وله معان في اللغة- المناسب منها للمعنى الاصطلاحي-: التغيّر

[1] لم يكن الشيخ ينسخ من معارفه شيئا على الأرجح لأنه كان ضريرا، وكان يملي دروسه على طلبة العلم الذين كانوا يكتوب تلك الأمالي.

[2] ينظر شرح الشبراوي والقهوة المرتشفة، وكذلك أطروحة الدكتوراه لعلي بوشاقور: المصنّفات النحوية خلال الحكم الفرنسي للجزائر دراسة في المنهج والمحتوى، جامعة مستغانم، 2011.

[3] ينظر نظم الزهرة المقتطفة في ديوان منة الحنّان لمحمد بن عبد الرحمان الديسي، طبعته الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي عام 2009.

والإبانة»[1]، وكذلك في موضع آخر يشرح معنى الباب بقوله:« والباب لغة: المدخل والمخرج»[2]، وتعرّض لذلك في القهوة المرتشفة وهو يشرح بيتا من نظمه:

وجملةٌ من بعد محضٍ معرفة .....

متطرّقا إلى لفظ محضٍ بقوله:« يعني أن الجملة بع المعرفة المحضة أي الخالصة»[3] وهكذا نجد أن الديسي يحاول شرح ما استغلق فهمه من ألفاظ ممّا يدل على اطّلاعه على ما في بطون المعاجم من دلالات لغوية.

وقد أحصى محقق شرح الشبراوي الألفاظ المشروحة فوجدها حوالي 51 لفظة[4].

- **الاستشهاد بالمنقول:**

- الاستشهاد بالقرآن الكريم:

أولى الديسي عناية بالاستشهاد بآيه، وهذا ديدن الشّراح، كما كان يتلمّس شرح القاعدة بإيراد الآية شاهدا على ذلك، ففي القهوة المرتشفة بلغت شواهده القرآنية 64آية، بينما في شرحه المشرب الرّاوي بلغت 39آية ينضاف إليها شواهد من قرآت مختلفة بلغت 4[5]، ومن تمثيلات ذلك ما ذكره في مبحث التمييز قائلا:« ومن التمييز تمييز النسبة، وهو في الغالب محوّلٌ عن الفاعل: نحوَ قوله تعالىﭐ ﭑ ﭒ ﭓﭔ **[مريم:04]** والأصل اشتعل شيب الرّأس... »[6]، ولعلّ الديسي لم يفته ذكر سبب تعدد وجوه الإعراب لتعدد القراءات، ومن المواضع التي ذكر فيها ذلك مبحث الاستثناء حيث قال:« ومثال شبه النّفي- وهو النّهي- قوله تعالىﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ **[هود: 81]** قُرئ بالنصب على الاستثناء، وبالرّفع بدل من"أحد" المرفوع على الفاعلية...»[7].

- الاستشهاد بالحديث النّبوي الشريف:

لم تكن استشهادات الديسي بالحديث النبوي الشريف لشرح القاعدة النحوية وذكر مطابقة الشاهد النبوي لما جاء في القاعدة، وإنّما كان على سبيل الدليل الحكمي كالابتداء بالبسملة والتبرّك بذلك في قوله: «وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "كلّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمّن الرحيم فهو أقطع"، أي ناقص، وقليل البركة»[8] وقد بلغت استشهادات الديسي في شرحه المشرب الراوي خمسة أحاديث كلها تدور في هذا الف

[1] محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي، ص97.
[2] نفسه: ص 97.
[3] محمد بن عبد الرحمان الديسي:القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة، ص112.
[4] ينظر المشرب الراوي.
[5] ينظر المصدرين السابقين. القهوة المرتشفة، ص15، و المشرب الراوي، ص 189.
[6] محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي،ص170.
[7] نفسه: ص175.
[8] نفسه:ص75.

- الاستشهاد بالشعر:

استشهد الديسي بشعر العصر الجاهلي والإسلامي،" وقد حفل المشرب الرّاوي بشواهد شعرية بلت 59بيتا بما في ذلك الأراجيز التعليمية..."[1]، كما كان له استشهادات بالشعر في شرحه القهوة المرتشفة التي بلغت ستة أبيات[2].

ولعل الديسي كان مقلاّ في مضمار الاستشهاد مقارنة بما كان من شروح القدامى، وهذا ما جعله محلّ نقد من شيوخ كانو يدرّسون في ذلك الزمان ومنهم "الشيخ عاشور الخنقي، ليأتي تعليل الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي لهذه المسألة، أنّ ابتعاده عن كثرة المنقول يكمن في انّ هدفه النّص الذي يدرّسُه، ليسير فيه حسب مستوى طلاّبه وفهمهم"[3]

رابعا- ملامح التيسير النحوي للمتعلمين في شرح الشيخ عبد الرحمان الديسي:

تظهر ملامح التسهيل والتيسير في شرح الشيخ عبد الرحمان الديسي سواء تعلق الأمر بالمشرب الرّاوي أو القهوة المرتشفة أو ما كان من مخطوطاته اللغوية، فهو صاحب منهج وأسلوب تعليمي باعتبار أنّ عصره كان عصر استدمار فكري وثقافي، حيث عملت فرنسا على طمس كل ما من شأنه يمثل اللغة العربية والدين الإسلامي، لتبقى أنوار في بعض ربوع الوطن تحاول أنْ تتأبّى على هذا الفناء والاستعداء، وقد أدرك الديسي رحمه الله ذلك، فعمل على بذل طرائق التذليل والتسهيل من خلال التمسك بالشرح والتفسير لمتون النحو، ووضع حواش عليها إن لزم الأمر توسعة لمدارك الطّلاب كما حدث مع منظومة الزهرة المقتطفة التي شرحها في القهوة المرتشفة وجعل عليها حواش سماها بالحديقة المزخرفة.

وتبدأ عملية التيسير انطلاقا من عناية الشيخ باختيار المتن المناسب لتلقي الطلاب، وعن هذا يقول في شرحه "المشرب الرّاوي"« فإنّي لمّا تأمّلت العلاّمة الشبراوي الشافعي في بعض القواعد النحوية، أعجبتني سهولة مبانيها، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيها،- ولم يبلغنا إلى الآن شرحها- استخرت الله في إملاء كلماتٍ تقييدا عليها؛ يُتمّم فوائدها، ويوضّح مقاصدها، لينتفع بها، من عُنِيَ بحفظها من صغار أولاد المؤمنين، وتكون كالمقدّمة الآجرّومية، التي جعلها الله – بإخلاص مؤلّفها- مفتاحَ النّحو للمتعلّمين...»[4] ، وكان ينتحي أسلوب التيسير في تعاريف المصطلحات النحوية وشرح المتن، وهذا ما تجلّى في القهوة المرتشفة في سياق شرحه لمعنى الجملة: « الجملة في الاصطلاح هي المركّب الإسنادي، فالمركّب جنس يشمل المركبات الثلاثة: الإضافي.... والمزجي... والإسنادي...»[5].

[1] نفسه:ص55.
[2]ينظر القهوة المرتشفة:ص15.
[3] ينظر القهوة المرتشفة: ص 12.
[4]محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي، ص73-74.
[5] القهوة المرتشفة:ص67-68.

ومن أمثلة شرحه الميسّر ما ضمّنه في "المشرب الرّاوي" من الشاهد والمثال، وهذا يدلل على رصانته وقوة حفظه، حيث جاء في باب الإعراب قوله: « فمثال التغيّر لاختلاف العوامل: يقوم زيدٌ ولن أضربَ عمرا ولم أمررْ بخالدٍ، فيقوم: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرّده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه ضمُّ آخره. زيدٌ: فاعل مرفوع بالضّمة الظاهرة. ولن: حرف نفي ونصب واستقبال. وأضربَ: فعل مضارع منصوب بلن، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. وعمرا: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. ولم أمررْ: جازم ومجزوم بالسّكون الظاهر. وبخالدٍ: جارّ ومجرور متعلّق بأمرر، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة »[1]، وقد كان يمثّل للقاعدة النحوية مراعاة لحال المخاطبين ومستوى المتعلّمين، وفي هذا السياق يمكن تصنيف الامثلة الواردة في شرحه إلى أقسام ثلاثة:

- "أمثلة منقولة من الكتب النّحوية مثل: ضرب زيدٌ عمرا، بحسبك درهمٌ، أرضعت الصغرى الكبرى، لا تأكل السّمك وتَشرب اللّبنَ.
- أمثلة دالّة على الثقافة الدّينية، مثل: المُطيعُ في الجنّة، جلسْتُ فوقَ المنبرِ، صمت يوم الخميس، صلّيتُ وسلّمت على أحمدَ، اعتكفتُ يومًا.
- أمثلة دالّة على الحالة النّفسية والاقتصادية، مثل: قول الأعمى: يارجلا خذْ بيدي، اكتلتُ قفيزا، أمسى الفقير في اطمارٍ، قصدتُك ابتغاء معروفك، كان الشّيخ شابّا."[2]

خلاصة:

بعد هذه التطواف المختصر الذي حاولت فيه الإبانة عن منهجية الشيخ عبد الرحمان الجزائري الدّيسي في شروحه، ممثّلا بذلك المدرسة النحوية المغربية الحديثة، كما يعكس طرائق تعليم اللغة العربية إبّان الحقبة الاستدمارية، فانتحى بذلك الشيخ سبيل التأثيل والتأصيل في شروحه للمتون النحوية كي يبقى اتصال آخر هذه الأمة بأوّلها، مع حسن اطّلاعهم على تراث اللغة العربية من علوم الآلة التي تحصل بها ملكة الفهم للكتاب والسنة ومن ثمّ استخلاص الاحكام الفقهية، التي يترتّب عليها المعاشُ والمعادُ، كما لم يكن للشيخ إغفال لمستوى المتعلمين ومراعاة أحوال إدراكهم لعلم النحو.

وجملة فإنّ الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي يعتبر من الأعلام الذين ساهموا في ترسيخ اللغة العربية وتعليم القرآن الكريم وعلومه وكذا السنة النبوية المطهرة، إذِ اجتهد في التأليف والتعليم طيلة ردحا من الزمن، ليثمر هذا الاجتهاد تلاميذ أصبحوا فيما بعد معلمين وأساتيذ يرفعون شعار النهوض بالعقل

[1] محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي، تح لعبيدي بن محمد بوعبد الله، دار الأمل،الجزائر، دت، ص99.

[2] نفسه:ص57-58.

الجزائري لمحاربة الجهل ورفع الخمول عنه، ومن ثمّ نشر الوعي العلمي والوطني بين هؤلاء الطلبة الذين سيغدون النخبة التي تخوض غمار الكفاح المسلح ضد الاستدمار.

قائمة المصادر والمرجع:

1. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج2، دار إحياء التراث العربي، د ط، لبنان 1955.
2. عمر بن قينة: الديسي حياته وأثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر، د ط، الجزائر، 1977.
3. محمد بن يوسف الكافي التونسي: إيقاظ الوسنان الفاتح المنظمة التوحيد لابن عبد الرحمان، مطبعة الترقي دمشق، ط1 1342هـ/ 1954م.
4. محمد بن الحاج محمد: الزهر الباسم، المطبعة التونسية، د ط، 1308 هـ
5. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992،.
6. عبد الرحمن بن محمد الجلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1995.
7. محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الرّاوي في شرح منظومة الشبراوي، تح لعبيدي بن محمد بوعبد الله، دار الامل، دت.
8. محمد بن عبد الرحمان الديسي:القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة، تح عبد الحفيظ جوبر،دار كردادة، الجزائر، 2014.
9. ينظر شرح الشبراوي والقهوة المرتشفة، وكذلك أطروحة الدكتوراه لعلي بوشاقور: المصنّفات النحوية خلال الحكم الفرنسي للجزائر دراسة في المنهج والمحتوى، جامعة مستغانم، 2011.
10. ينظر نظم الزهرة المقتطفة في ديوان منة الحنّان لمحمد بن عبد الرحمان الديسي، طبعته الجمعية الثقافية للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي عام 2009.
11. محمد بن عبد الرحمان الديسي: المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي، تح لعبيدي بن محمد بوعبد الله، دار الأمل،الجزائر، دت.